

الفصل السابع

تقسيم نظريات العلاقات الدولية

الفصل السابع

تقسيم نظريات العلاقات الدولية

ما الذي يفرق نظرية عن أخرى؟

- 1- في استعمالها لخرائط معرفية مختلفة لفهم "المقاربات".
- 2- لا تتشابه النظريات حتى تلك التي تدرس نفس الموضوع أو المنطقة الجغرافية (هل هي حرب استعمارية في المجال الفكري؟) مثل تهميش إفريقيا في الدراسات الأوروبية.
- 3- تختلف النظريات التي تدرس نفس المسار لأحداث معينة مما يعني أن النظريات مثل المنظار ولون العدسة، فالتشوه المقصود للعدسة يؤدي إلى تشويه الواقع، كذلك فإن المنطلقات المختلفة تقود إلى نتائج مختلفة.
- 4- كما تساعدنا الخرائط على منح معنى لما يحيط بنا فإن النظريات بنفس الطريقة تساعدنا على تبسيط العالم المعقد الذي نعيش فيه. إذ نختار من الأحداث الهائلة العدد ما نراه مهما وذاك يؤثر بالضرورة على النتائج التي نتوصل إليها، فعملية التنظير تبدأ حين نقرر أي الأحداث أهم. يقول هيدلي بول (Hedley Bull): "إن السبب الذي يدفعنا للاهتمام بالنظرية وكذلك التاريخ هو أن النقاش حول الأحداث الدولية ينطلق دوماً من مسلمات نظرية وجب الالتفات إليها وشرحها وانتقادها".

أنواع النظريات

- يرى روبرت كوكس (Robert Cox) أن هناك نوعان من النظريات في العلوم الاجتماعية:
- 1- (Problem-solving theory) نظريات حل المشكلات وهدفها هو البحث عن أنساق عامة تخص العلاقات الاجتماعية والمؤسسات بشكل يسمح لها بإيجاد طريق للتعامل بطريقة فعالة مع مشاكل محددة داخل المجتمع.
 - 2- (Critical theory) النظريات النقدية وتوصف بالنقدية لأنها تبقى على المسافة بينها وبين النظام المسيطر وهدفها هو دراسة جذور وتوجهات ذلك النظام بما فيه كل العلاقات الاجتماعية والمؤسسات الموجودة.
- ملاحظة: يمكن للنظرية النقدية أن تكون دليلاً يقود إلى العمل الاستراتيجي الذي يمكن من المساهمة في خلق نظام جديد بديل، في حين أن نظريات حل المشكلات هي دليل للعمل التكتيكي الذي يساهم بقصد أو بدون قصد في دعم النظام القائم.

يرى (Scott Burchill) أن هناك نوعان من النظريات:

1- (Explanatory) تفسيرية وهي نظريات هدفها شرح العلاقات الدولية باستعمال منهجية علمية صارمة ودقيقة تستعمل التجربة والتحقق من الفرضيات وتؤمن بوجود واقع قابل للاكتشاف والمعرفة.

2- (Reflective/ Constitutive) تكوينية وهي نظريات ترى أن الطريقة العلمية التي يدعي أصحابها أنها موضوعية خالية من الذاتية ومحايطة خالية من القيم لا يمكن أن تكون كذلك. هل يمكن للباحث أن يبعد ذاته من التحليل؟ إن الأفكار والمواقف والأحكام المسبقة لا محالة تؤثر على النتائج التي يتوصل إليها الباحث. يمكن أيضا تقسيم النظريات إلى نوعين أساسيين:

1- النظريات الوضعية (Positivist theories) وترى أن كل العلوم الطبيعية والاجتماعية على حد سواء هي واحدة أي لفهم العالم الواحد الذي نعيش فيه يجب أن نتبع المنهج العلمي الذي يفرق بين الوقائع والقيم (facts/ values)، الإيمان بوجود أنماط متكررة، الاعتماد على الحاجة إلى ط للتأكد من صحة أو عدم صحة النتائج بواسطة الملاحظة (falsification or validation through observation).

2- النظريات ما بعد الوضعية (Post-positivist theories) لا ترى بأن التجربة تؤدي إلى نتائج مقبولة لأن موضوع الدراسة يستعصي على الأدوات العلمية ثم أن الذاتية مسألة لا يمكن التخلص منها.

يقدم (Hollis & Smith) تفرقة مهمة بين الشكلين:

1- (Explainers) الشُّرَّاح أو المحللون ويحاولون تحليل الواقع باستعمال الملاحظة التجريبية باعتبار أنه باستطاعة الباحث الانفصال عن عملية التحليل.

2- (Understanders) الفهّام الذين يرون أن النظريات ما بعد الوضعية تهتم أكثر بمسألة الفهم وترى أن الباحث جزء لا يتجزأ من عملية البحث.

يقول (Dessler) أن النظريات ما بعد الوضعية والنظريات النقدية "لا تعترف بوجود واقع مستقل منطقيا وسببيا عن العقل".

(Wittkopf & Kegley) يريان أن "لا أحد يعرف حقيقة العالم لأننا نرى العالم حسبما ندركه" أي أن فهمنا للعالم يعكس إدراكنا له.

أما (K. Boulding) فيقول: "إن أفعالنا تعكس الصورة التي يبدو لنا عليها العالم وليس بالضرورة صورة العالم كما هو".

خلاصة

هذه التقسيمات لها فائدة هوريستكية تساعدنا على فهم النقاش الدائر في حقل
التنظير في العلاقات الدولية وكذا أبعاد التفكير في محاولة ادراك ظواهر العالم
المتحرك.